

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مكارم الأخلاق - الدرس : 08 - المسؤولية

07-11-2003

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

موضوع اليوم :

أيها الأخوة الكرام، الموضوع اليوم المسؤولية، ولا أدلّ على ذلك: من أن سيدنا عمر بن عبد العزيز دخلت عليه زوجته فاطمة فرأته يبكي في مصلاه، سألته: ما لك تبكي؟ قال: دعيني وشأني، فلما ألحّت عليه قال: إني نظرت إلى الأرملة والمسكين، وذي العيال الكثير والدخل القليل، وابن السبيل، وذكر أكثر من عشرين صنفاً من هؤلاء الذين يعانون ما يعانون في مملكته، أو في بلده، فقال: علمت أن الله سيسألني عنهم جميعاً، وأن حجيجي دونهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لم الإنسان مسؤول؟ :

الإنسان مسؤول، لكن الإنسان أحياناً يترنم بكلمة: مسؤول كبير، ولو علم ما تعني هذه الكلمة لارتعدت فرائصه، الإنسان مسؤول، لأنه قبل حمل الأمانة، الكون كله عدا الإنس والجن ليس مسؤولاً، يؤدي وظيفة بتسيير من الله تعالى، إلا أن الإنسان حينما عرضت عليه الأمانة قبل حملها، فقال تعالى:



﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[سورة الأحزاب الآية:72]



أيها الأخوة، لكن كيف أنك إذا كنت في طائرة، واستخففت بقانون السقوط، هذا قانون ، إن قدرت هذا القانون، وأمنت به، فإنك تستخدم المظلة، المظلة مبنية على قانون السقوط، طبعاً لك وزن، والمظلة لها مقاومة لهذه المساحة الكبيرة، فمقاومة المظلة للسقوط تكافئ وزنك ، وتهبط بشكل سليم، فأنت إذا أمنت بهذا القانون، وتأديت معه، نجوت من آثاره السيئة، أما إذا

استخففت به، ولم تؤمن به، ونزلت من دون مظلة تنزل ميتاً، فعدم إيمانك بالقانون لا يلغي فعله، وعدم إيمانك بالمسؤولية التي حملت نفسك إياها يوم عرضت عليك لا يلغي هذه المسؤولية، وسواء أقررت أم لم تقر، أمنت أم لم تؤمن فأنت مسؤول، وسوف تحاسب.

تعريف المسؤولية بمعناها الدقيق :

لذلك من أدق تعريفات المسؤولية: حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذه عن أعماله، مثلاً: شركة عملاقة لها مدير تنفيذي، دخله بالملايين، ويوجد مستخدم لتنظيف مكتبه، فإذا هبطت أسهمها إلى الحضيض، وأعلنت إفلاسها، فهذا الموظف المكلف بالتنظيف لا يحاسب، لكن الذي يحاسب الذي يأخذ الرواتب بالملايين، وقد أعطي الصلاحيات الكبيرة.



الله عز وجل يسألك بقدر اختيارك، أنت مخير، وما دمت مخيراً فأنت مسؤول، المسؤولية حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذه على أعماله، وملزم بتبعاتها المختلفة.

هل من الممكن أن نلغي المسؤولية ولماذا؟ :

وقد قال الله عز وجل:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 92-93]

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾

-لو ألعينا المسؤولية, لكان الخلق عبثاً بلا هدف:-

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 115]

وكل إنسان يعصي الله, يظن أنه خلق عبثاً, وأنه لن يحاسب, ولكن الصاعقة التي سوف تصعقه: أنه يحاسب عن الكلمة, وعن الابتسامة, وعن الدرهم من أين اكتسبه, وفيم أنفقه؟.



الفاقد للإدراك هو الذي لا يخاف

لذلك مرة قال لي طالب: أنا لا أخاف من الله, فأنا أردت أن أجيبه جواباً مفحماً, قلت له: أنت معك حق ألا تخاف منه, فازداد غيظاً, وقال: ولم؟ قلت له: لأن الفلاح حينما يذهب إلى الصيد يأخذ معه طفله الصغير, وقد يكون عمره سنتين, فإذا مر إلى جانبه ثعبان ضخم لا يخاف منه, لأنه لا إدراك له, فالذي لا يدرك لا يخاف, أما الذي يدرك يخاف أشد الخوف,

الطبيب أحياناً لا اطلاع على الجراثيم والعدوى والأمراض الفتاكة, يخاف أشد الخوف من أكل شيء من دون تعقيمه, أما الجاهل فيأكل ولا يتأثر.

حدثني أخ قال لي: يكفي أن موظفاً في مطعم مصاب بالتهاب كبد وبائي, إذا دخل إلى الحمام, وخرج, ولم ينظف ما تحت أظافره, يمكن أن يصيب ثلاثمئة إنسان أكلوا في هذا المطعم بمرض التهاب الكبد الوبائي القاتل, فكلما تعمقت في العلم, وجدت أن هناك مسؤولية, فالذي لا يخاف من الله أحق, والذي لا يدخل الله في حساباته اليومية أحق, وسوف



أنت مسؤول أن تخلص في عملك

يدفع الثمن باهظاً سواء أقررت أم لم تقر, أعجبك أم لم يعجبك, أمنت أم لم تؤمن, أنت مسؤول, قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 92-93]

ما هي الأمانة التي قبل الإنسان حملها؟ :



الحقيقة: أن المسؤولية الأولى أمام الله، إننا عرضنا الأمانة، الأمانة أنه جعلك مخيراً، منحك حرية الاختيار، وأودع فيك الشهوات، ومنحك نعمة العقل، وجبك جبلة عالية الفطرة، وأعطاك منهجاً هو الشرع، ونصب لك الكون دالاً عليه، فالكون والعقل والفطرة والشهوة والاختيار والشرع هذه أركان المسؤولية، فبالكون تعرفه، وبفطرتك تعرف خطأك،

وبالعقل تهتدي إليه، وبالشهوة تندفع إلى أهدافك، والشرع يكون منهجاً ضابطاً لك في حركتك، إذاً:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 72]

الأمانة هي التكليف، والأمانة أنه جعل نفسك بين يديك، فقد أفلح من زكاهها، وقد خاب من دسائها، قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[سورة الجمعة الآية: 5]

ألم يقل الله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 72]

يقول لك: فلان تحمل مسؤولية، عرض عليه منصب خطير في زمن صعب، فقيل هذا المنصب، وتحمل المسؤولية، والإنسان حينما عرضت عليه الأمانة، أي أن تكون نفسه ملكاً له ، إذاً:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية: 9-10]

نفسه هي الأمانة، وهي المكلفة، إذًا: الأمانة هي التي تعني أنك مكلف أن تعرف نفسك لله، وأن تحملها على طاعتك، وأن تسمو بها إلى الله كي تكون مؤهلة لسعادة الآخرة.

أنواع المسؤولية :

1-مسؤولية دينية :

أنواع المسؤولية: هناك مسؤولية دينية، وهي: التزام المرء بأوامر الله ونواهيه، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها، ومصدرها الدين. سأل شخص النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: عظني ولا تطل، قال له: قل آمنت بالله ثم استقم، -هكذا يروي الحديث-، قال هذا الأعرابي: أريد أخف من ذلك، قال: إذًا فاستعد للبلاء.



كلام واضح كالشمس، تقبل حمل الأمانة، تستقيم، نجوت فهنئاً لك، لا تقبل فاستعد للبلاء، إنسان يدخل فتنصحه، وتبين له، تنتحر، موت بطيء، ثم يأتي السرطان، وتأتي الجلطة ، هذا فعلك، فاستعد للبلاء؛ إما أن تستجيب أو تستعد للبلاء.

2-مسؤولية اجتماعية :



وهناك مسؤولية اجتماعية: أنت ضمن مجتمع، والمجتمع له قوانين، وله أنظمة، وله أعراف، وله تقاليد، فلو خالفت قوانين المجتمع تدفع الثمن، المجتمع يعاقبك، أحياناً يعاقبك بسقوط مكانتك بين أفراد المجتمع.

3-المسؤولية الشاملة :

أخواننا الكرام, هذه المسؤولية شاملة، يعني ليس عندنا في الدين إنسان معفى من المسؤولية، مَنْ هو أعظم مخلوق؟ رسول الله، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة الأنعام الآية: 15]

أرسل عليه الصلاة والسلام خادماً له، فتأخر، أصابه غضب كما يصيب أي إنسان، قال له: والله لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك.

رأى تمرة على سريره، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَائِمًا، فَوَجَدَ تَمْرَةً تَحْتَ جَنْبِهِ، فَأَخَذَهَا فَأَكَلَهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَتَضَوَّرُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَفَزِعَ لِذَلِكَ بَعْضُ أَرْوَاجِهِ، فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً تَحْتَ جَنْبِي فَأَكَلْتُهَا، فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ))

بشأن القوس

ما هو الدليل من الكتاب على أن المسؤولية شاملة؟ :

فيا أيها الأخوة: المسؤولية شاملة، والدليل قوله تعالى:

﴿قُورَيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 92-93]

ما ينفذ واحد، لذلك: من الحمق أن تقول: يا رب لا تسألنا عن شيء، هذا استهزاء بكلام الله عز وجل، ما هذا الدعاء؟ لا تسألنا عن شيء الله، يقول عز وجل:

﴿قُورَيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 92-93]

وهو يدعو ويقول: لا تسألنا عن شيء.

4-السؤال يشمل المرسلين والمرسل إليه :

الآن: السؤال يشمل المرسلين والمرسل إليه، قال تعالى:

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

[سورة الأعراف الآية: 6]

هذا الذي يتكلم له حساب عند الله، هذا الذي تقوله للناس هل أنت مطبق له؟ وهذا المستمع مسؤول، سمعت كل شيء، ماذا فعلت فيما سمعت؟ فانه عز وجل سيسأل المرسل إليه والرسول.

5- جميع أنواع الأعمال :

الآن: جميع أنواع الأعمال، قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية: 7-8]

قال رجل لبائع: أريد بنظالاً، ورجاءً اختر أنت لي اللون على ذوقك، هذا البائع عنده لون كاسد، قال له: هذا أجمل شيء، هذا موديل السنة، خانته، فعلى مستوى انتقاء لون تحاسب، والله لو علم الإنسان كيف سيسأل لارتعدت فرائصه.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَرَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجْرَةً تُعْضَدُ))

الآن: نكلم أخي بكلام، لا، قال تعالى:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: 18]

وفي الأثر:

((قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة))

أحيانا لم تتكلم بكلمة، فلانة والله الله أعلم، ما قال شيئاً، فقط هزّ قميصه، يعني لها إشكال، هل أنت متأكد ومتحقق؟ معك دليل؟

فاذاً: أول شيء: السؤال لكل الخلق، الشيء الثاني: عن كل الأعمال صغيرها وجليلها.

6- عن الأقوال :

الشيء الثالث: عن الأقوال:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: 18]

7- عن السمع والبصر والعقل والملكات :

السمع والبصر والعقل والملكات، قال تعالى:

﴿وَلَا تَفْقُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[سورة الإسراء الآية: 36]

8- الإنسان مسؤول عن عمره وعلمه :

الآن: أعطاك صحة، ماذا فعلت بهذه الصحة؟
أعطاك وقت فراغ، ماذا فعلت بهذا الوقت؟
أعطاك كفاية، دخلك يغطي حاجاتك، هذه
الطمأنينة، أنه لك دخل يغطي حاجاتك، ماذا
فعلت بوقت الفراغ؟ الكفاية، والصحة،
والفراغ، هذه كلها محاسب عنها، حتى كأس
الماء البارد:



﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

[سورة التكاثر الآية: 8]

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ

أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟))

معقول! سبع ساعات على طاولة النرد، وأربع ساعات على المسلسل، وينام مثل الدابة ، وفي اليوم الثاني حمار في العمل!! هكذا الناس، عمل قاس، وانغماس شديد في الشهوات.

((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ

أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟))

9- من رحمة الله بنا أن المسؤولية شخصية :

الآن: من رحمة الله بنا: أن المسؤولية شخصية، قال تعالى:

﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة النجم الآية: 38]

﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة سبأ الآية: 25]

لن نسأل عن أمة خلت، قال تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 134]

أوضح آية:

{الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}

[سورة النجم الآية: 38]

علام تدل هذه الأعمال لعمر؟:

سيدنا عمر كان إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته، وقال: إني قد أمرت الناس بكذا، ونهيتهم عن كذا، والناس كالطير، إن رأوكم وقعتم وقعوا، وايم الله! لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عن، إلا ضاعفت له العقوبة لمكانته مني.

فكانت القرابة من عمر مصيبة، مثل من محاسبته لأولاده:

رأى إبلاً سمينة، قال: لمن هذه الإبل؟ قالوا: هي لابنك عبد الله، فقال: انتون به، وغضب، فلما جاءه قال: لمن هذه الإبل؟ قال: إنها لي، اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن، فماذا فعلت؟ أين المخالفة؟ فقال له: فيقول الناس: ارعوا هذه الإبل، فهي لابن أمير المؤمنين، اسقوا هذه الإبل، فهي لابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك يا بن أمير المؤمنين، بع هذه الإبل، وخذ رأس مالك، ورد الباقي لبيت مال المسلمين.

سيدنا عمر معه سيدنا عبد الرحمن بن عوف يتجولان في المدينة، رأيا قافلة في ظاهر المدينة، فقال لعبد الرحمن: تعال نحرسها لوجه الله، فإذا بطفل يبكي، فقال لأمه: أرضعيه، فأرضعته، ثم بكى، قال: أرضعيه، يبدو أنه كان عسبي المزاج،- في المرة الثالثة قال: يا أمة السوء أرضعيه، قالت له: ما شأنك بنا إنني أظمه؟ قال: ولم؟ قالت: لأن عمر -ولا تعلم أنه عمر- لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام، يروى أنه ضرب جبهته، وقال: ويحك يا بن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين؟ فلما صلى الفجر بالناس، ما سمع الناس قراءته من شدة بكائه، وقال: ربي هل قبلت توبتي فأهني نفسي، أم رددتها فأعزبها؟ فكل واحد لا يخاف من الله عديم الإدراك، وعدم الخوف من الله دليل أنه لا يدرك، وكلما ازداد الإدراك ازداد الخوف.

خطاب للسيدة فاطمة :

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:

((فَإِمَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}

قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اسْتَنْزُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ

رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِّينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هل هناك أوضح من هذا الكلام؟ هل يوجد أقرب لرسول الله من ابنته فاطمة؟ ومع ذلك قال:
((يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا))

اقرأ هذا الحديث :

عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ:

((سَمِعْتُ عَمَّتِي تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلًا فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا،
جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا؛ إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ))

عن ماذا ينهانا هذا الحديث؟ :

الآيات كثيرة جداً في المسؤولية، لكن على رأسها:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 92-93]

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ:

((اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى: ابْنُ النَّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ
حَاسِبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالِكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَهَلَا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ
وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟ ثُمَّ خَطَبْنَا فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، فَاتِي أَسْتَعْمِلُ
الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَانِي اللَّهُ، فَيَأْتِيَنِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالِكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي
بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ؟ وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بغيرِ حَقِّهِ، إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَلَا عَرَفْنَ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ، يَحْمِلُ بغيرًا لَهُ رُغَاءً، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خَوَارٍ، أَوْ شاةً تَيْعُرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى
رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ بَصَرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي))

أرأيت إلى هذا الظلم؟ :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ الْمُفْسِدِينَ عِنْدَ اللَّهِ، عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا))

[أخرجه مسلم في الصحيح، والنسائي في سننه]

كم من أسرة تحرم البنات؟ كم من أب يحابي أحد أولاده، يعطيه كل ثروته؟. بلغتني قصة إنسان ترك قريبًا من ألف مليون، أحد أولاده يعمل حمالًا في السوق، والابن الثاني معه مئات الملايين، هذا ظلم.

لذلك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ، فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ، فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ: ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))

[أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما]

اعلم أنك مسؤول :



الإنسان مسؤول، والآية الدقيقة:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 92-93]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

((عَذِبْتُ امْرَأَةً فِي هَرَّةٍ حَبَسْتُهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلْتُ فِيهَا النَّارَ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ أَعْلَمُ، لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ))

هذه هرة، فما قولكم فيما فوق الهرة؟ شعوب تموت من الجوع، مدن تقصف، عشرات الألوف يموتون من كل جولة من جولات الحرب، ثلاثون إلى أربعين ألف قتيل في حرب العراق، وقبلها مئتا ألف في حرب الخليج الأولى، أرقام مذهلة، هكذا

إياك أن تنسى أن الله سيحاسبك :

أيها الأخوة, لا تجد أشد غباءً وحمقاً من القوي حينما ينسى أن الله سيحاسبه، قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم الآية: 42]

فكل العقل، وكل الذكاء، وكل الكياسة، وكل التوفيق، وكل النجاح من خوفك من الله، الله كبير، و:
رأس الحكمة مخافة الله.